

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ" وحديث أبي موسى "المرء مع من أحب" وحديث أنس "أنت مع من أحببت" وحديث ابن مسعود "المرء مع من أحب"

الشيخ/ خالد بن عثمان السبتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب "زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم" أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))"^(١)، رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

((الرجل على دين خليله))، هذا الباب يتعلق بصحبة الأخيار وبمحبتهم، وذلك أن الإنسان يتأثر بمن يصاحب، كما يدل عليه صراحة هذا الحديث ((المرء على دين خليله))، فهو يتأثر به ولا بد، كما أن النفوس أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تتكلم منها اختلف))^(٢)، وإنما ينجذب الإنسان عادة إلى من يشاكله، ويكون مناسباً له، فيميل إليه طبعه، ويحصل بينهما من المواطأة والتوافق والإلف ما لا يقدر قدره، فإذا صحب الإنسان أو أحب أهل الخير والفضل فإن ذلك يدل على أن نفسه تتجذب للخير؛ لأن هذا إنما ينجذب إليهم لما تحمله نفوسهم وما يظهر من أعمالهم من الصفات الكاملة، فنفسه تميل إلى الكمالات وتحبها وتطمح إليها، وهذا مؤشر يدل على أن هذا الإنسان قلبه لا يزال فيه حياة، ويرجى لصاحبه من الخير في الدنيا والآخرة، وذلك أنه في الدنيا يتأثر بمثل هؤلاء ويعمل بعملهم، وينكف وينزجر عن كثير من الشرور والآفات والآثام، وذلك أن هؤلاء يعينونه على الخير، ويقعدونه عن الشر، بخلاف من صحب الأشرار فإنهم يؤزونه أراً إلى المعصية والمنكر، ويقعدونه عن طاعة الله -عز وجل-، ولربما عيروه إذا ترك الباطل أو فعل شيئاً من طاعة الله -جل جلاله-، فالمقصود أن المؤمن يحتاج إلى مثل هذا المعنى أن يستحضره، وأن يعلم أن صحبته هذه تؤثر عليه في الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا فنذكرت ذلك، وأما في الآخرة فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((المرء مع من أحب))"^(٣)، يعني في الآخرة، متفق عليه.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في أخذ المال، رقم (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٣٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، رقم: (٣٣٣٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم: (٢٦٣٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله -عز وجل-، رقم: (٦١٦٨)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: (٢٦٤٠).

وفي رواية قال: قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: الرجل يحب القوم، يعني من أهل الصلاح والدين والفضل، يحبهم، ولما يلحق بهم، يعني في العمل، هو مقصر، ومرتبته دون مرتبتهم، فليس له من التشمير ما لهم في طاعة الله -عز وجل-، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((المرء مع من أحب))، وهذا من أعظم الأحاديث المبشرة بسعة فضل الله -عز وجل-، ورحمته على عباده المؤمنين، فالإنسان قد لا يعمل الأعمال الكثيرة، ولكنه يحب أهل الفضل والدين والصلاح فيلحقه الله -عز وجل- بهم، ويدل على ذلك أيضاً حديث أنس -رضي الله تعالى عنه-: أن أعرابياً -والأعراب: هم من سكن البادية- قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: متى الساعة؟ يعني متى قيام الساعة، القيامة؟، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((ما أعددت لها؟))، يعني أنت تسأل عن وقت الساعة ولكن السؤال الذي ينبغي أن تعيده على نفسك هو ماذا أعددت لهذا اليوم؟، ماذا قدمت وهيأت لتلك الساعة؟، فقال: حب الله ورسوله، يعني يقول: ما عندي أعمال كثيرة إلا أنني أحب الله ورسوله، قال: ((أنت مع من أحببت))^(١)، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: "ما أعددت لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله"^(٢).

وجاء أيضاً في حديث ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم، يعني في العمل؟، وفي رواية: ولا يستطيع أن يعمل بعملهم؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((المرء مع من أحب))، متفق عليه.

فهذه الأحاديث جميعاً تدل على هذا المعنى، ولذلك أقول: الذي قد لا تعينه نفسه على كثير من الأعمال الطيبة الصالحة لا أقل من أن يحب الخير ويحب الصالحين، ويحب مجالسهم، ولا يحب الشر ولا الأشرار، فالمرء مع من أحب، الإنسان قد لا يعمل بعمل الأشرار، ولكنه يحبهم ويؤثرهم على غيرهم، ويحب مجالستهم، فمثل هذا يلحق بهم، المرأة المسلمة حينما تكون قدوتها الممثلات والمطربات، وعارضات الأزياء، وما أشبه ذلك من الفاجرات فإنها قد تلحق بهم، ولو لم تعمل هي بعملهم، وإذا كان قدوتها أمهات المؤمنين والصالحات من المؤمنات القانتات النقيات فإن الله يلحقها بهم، ولو قصرت عن عملهم، فهذا يحرص الإنسان عليه، ولذلك فإن الإنسان قد يبلغ المراتب في الآخرة بشيء تعلق بقلبه وإن قصر عنه عمله.

فنسأل الله -عز وجل- أن يبلغنا وإياكم المراتب العالية من الجنة، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا، وأن يجعلنا ممن يحبه ويحب أوليائه، وأن يلحقنا بركابهم، وأن يحشرنا تحت لواء رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأن يسقينا شربة من حوضه لا نظماً بعدها أبداً، وأن يغفر لنا ولوالدينا وإخواننا المسلمين. اللهم ارحم موتانا، واشفِ مرضانا، وعافِ مبتلانا، واجعل آخرتنا خيراً من دنيانا، وأحسن لنا العاقبة في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، رقم: (٦١٦٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: (٢٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله -عز وجل-، رقم: (٦١٧١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: (٢٦٣٩).